

وسيلة وليست غاية في حد ذاتها. وهي لخدمة الإنسان في سيره إلى الله. " السبب جعل لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبب". أما التفسير والتقاليد الفريسية فكاها، في عرفه، وصايا محض " بشرية " ولا قيمة لها في مقاييس الله . بل أن بعض منها خطيئة ضد الله، لأنها نقضت شريعته وأحلت محلها سنة الناس .



إن علاقة الفريسي بالله هي علاقة العبد الذي يخدم سيده ويحفظ أوامره في دقة خشية الانتقام وإنزال القصاص . وهو بهذه الأمانة يحسب نفسه ذا فضل على ربه، ويقف أمام الله مرفوع الجبين ، ينظر إلى سواه محتقراً من علو اعتداده ببرارته . أما في نظر يسوع ، فالإنسان ابن لله ، يعمل في كرم أبيه حباً وطاعة، وإذا فكر بالمكافأة، فكما يفكر الابن البعيد عن البيت الأبوي، بالرجوع يوماً إلى هذا البيت لينعم بخيرات أبيه والعيش بالقرب منه، في أحضانه . إن رحمة أبيه وسيدة المدى دائمة الاستعداد لتغمره ، بشرط أن يرتمي منسحق القلب ووضع النفس ، في حضن أبيه .

الدين من حيث هو روح و حياة ، فمديح المعلم الناصري يفسح المجال للنقد اللاذع ، والتأنيب القاسي للهجة جداً . فالتدين في نظر الفريسي، هو التقيد الصارم والأعمى بسلسلة من الأوامر تُولف الشريعة . وهو يتقيد بها حرفياً ويرهقها بتقاليد الحدود وتفسير الرابين التي لا تزال تتمادى في توسيع الشريعة وتضييقها حتى تقضي جذرياً على الفكرة الإلهية التي أوحى بها ، وحتى تخنق التنفس ، أسيرة لها ، مثقلة الكاهل ، مكبلة اليمين إلى ما لا حد له .

والشريعة عندهم أزية كالله ، تلزمه هو نفسه وإن يكون مصدرها . وللتقاليد والتفسير الحرمه نفسها التي للشريعة . والله العاكف في علياء السماء على قراءة التوراة ، بركان غضب ووعيد وانتقام يتفجر في وجه كل من تسول له نفسه انتهاك هذه الحرمه بتعديها حتى في أدق دقائقها .

ولا عجب إذا جهل الشعب البسيط، الكادح سعياً وراء لقمة اليوم ن هذه المداورات التفسيرية والتقاليد والاجتهادات، حتى الشريعة نفسها، فتعرض لمخالفتها، وبالتالي لنقمة أربابها الفريسيين وازدراهم وبغضهم .

أما في نظر يسوع فالتدين وفق محبة الله أبينا وللقريب أحيانا، والشريعة هي إرادة الله في التعبير الصادق عن هذه المحبة لله وللقريب. فهي الجناح الذي تطير به النفس إلى الله. وهي بالتالي